

مادة تربية وتعليم / المرحلة الثانية عنوان المحاضرة /التعليم والكتابة عند العرب قبل الاسلام

لم تكن الكتابة مجهولة لدى العرب في جاهليتهم فهم قد سجلوا بها عهودهم وموائيقهم ومواعظهم وآثارهم، وكانت كتاباتهم حفرًا في الصخور ونقشًا على الحجارة والبنيان والأبواب. وعلى رغم قلة النقوش والآثار الكتابية التي كُتبت بحروف عربية أو قريبة من الصور العربية، إلا أن ما عُثر عليه من النقوش النبطية في شمالي الحجاز، وعلى طول القوافل التجارية إلى دمشق، وتمثل هذه النقوش جميعها مراحل تطور الخط النبطي الآرامي إلى الصورة العربية، وتقطع بأن الخط العربي الذي كُتب به القرآن الكريم، قد تولد عن الخط النبطي، وهي في الوقت نفسه دلالة واضحة على أن الكتابة قد وجدت في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، وإن ظل استعمالها قاصراً على نطاق ضيق لا يتعداه إلى مختلف شؤون الحياة التي كان يحيها القوم .

من البلدان العربية التي عرفت الكتابة عرفة القدماء المصريون الكتابة قبل الميلاد بما يقرب من ثلاثة آلاف عام، وعرفها الحيثيون في آسيا الصغرى، والكنعانيون في سوريا منذ الألف الثاني قبل الميلاد .

ولقد وجدت الكتابة وتواجد الكتاب في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ومرت الكتابة عندهم، ومرت بتطورات كثيرة، كان آخرها التحول من الصورة النبطية إلى الصورة العربية خلال القرن الخامس الميلادي، ولكنها على الرغم من ذلك، كانت وفقاً على فئة قليلة من الناس لم تكن تستعمل إلا في أضيق الحدود ربما لأنهم أمية تعيش حياة بدوية بسيطة لا تحس فيها بحاجة إلى الكتابة في تصريف أمورها وربما كان ذلك لتعذر أدوات الكتابة ووسائلها في ذلك الحين، ولكن الشيء الذي لا شك فيه أن العرب قد عرفوا الكتابة واستعملوها في داخليتهم بدليل ما عثر عليه المنقبون في صحرائهم من نقوش وحفريات، ترجع إلى ذلك الزمن البعيد وما حفظه لنا التاريخ من أشعار شعرائهم، التي يشبهون فيها الأطلال ورسوم الديار بالكتابة ونقوشها.

وهناك أخبار كثيرة متواترة عن قوما كانوا يعرفون الكتابة الجاهلية فالمؤرخ البلاذري يذكر بأن الإسلام دخل وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب، وكذلك ذكر الواقدي أن الإسلام جاء وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون وقد أحصاهم فبلغوا أحد عشر رجلاً على رأسهم سعد بن عبادة، والمنذر بن عمر، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وتجمع كتب السيرة النبوية على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل فداء أسرى قريش في غزوة بدر أن يُعلم الواحد منهم عشرة من صبيان المسلمين في المدينة القراءة والكتابة ممن لا يستطيع دفع الفدية. ويثبت القرآن الكريم نفسه للعرب معرفتهم بالكتابة قبل الإسلام في أكثر من موضع، من ذلك

فورد في سورة الفرقان، الآية: ٥ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اٰكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، ويحدثنا القرآن الكريم بأن العرب، وهم بصدد إنكارهم رسالة الإسلام، قد طالبوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن ينزل عليهم كتاباً من السماء يقرؤونه، وورد ذلك في سورة (الإسراء، الآيات: ٩٠: ٩٣).

ويعود القرآن الكريم للرد على هؤلاء الجاحدين فيقول في موضع آخر من نفس السورة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَتُحْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأنعام، الآية: ٩١.

وفي هذه الآية دليل واضح على أن عرب الجاهلية كانت لديهم نصوص من التوراة مكتوبة في صحف وقراطيس، هذا ولم يرد عن عرب الجاهلية أنهم كتبوا أشعارهم وسجلوها في دواوين وإنما كانت الرواية الشفوية هي الوسيلة الوحيدة لحفظ الشعر عندهم ونقله عبر المكان من قبيلة إلى قبيلة وعبر الزمان من جيل إلى جيل، ولم تبطل تلك الوسيلة بظهور الإسلام، وإنما ظلت تقوم بدورها ما يقرب من قرنين من الزمان.

مع تحيات / د. كافي سلمان الجادري